التفاوت بين فلسفة الدين والعلوم القريبة

علم الكلام واللاهوت :

تختلف «فلسفة الدين عن «علم الكلام و«علم اللاهوت ، بالرغم من أن الدين هو الموضوع الأساسي للعلوم الثلاثة. فإذا كانت مهمة اللاهوت الأولى هي تبرير الإيمان وتوضيحه والدفاع عنه، فإن علم الكلام يهتم في المقام الأول بالدفاع عن العقائد الدينية ضد العقائد المضادة، ومحاولة تفنيد العقائد المخالفة، ورد الشبهات، فضلا عن الدفاع عن عقائد فرقة دينية من الفرق داخل الدين الواحد ضد الفرق الأخرى في نفس الدين أو في دين آخر. كما ورد في تعريف ابن خلدون: «هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، والرد على المبتدعة المنحرفين في العتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة، وسر العقائد الإيمانية هو التوحيد. أو كما ورد عند الايجي: «والكلام علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشُبه، والمراد بالعقائد ما يقصد فيه نفس الاعتقاد دون العلم، وبالدينية المنسوبة إلى دين محمد عليه السلام، فإن الخصم وإن خطأناه لا نخرجه عن علماء الكلام. أو تعريف طاش كبرى زاده: «علم يُقتدر معه على إثبات الحقائق الدينية بإيراد الحجج عليها ودفع الشُبه عنها ولعلم الكلام مسميات عدة؛ فيسمى علم الفقه الأكبر، وعلم التوحيد، وعلم العقائد، وعلم أصول الدين، وعلم النظر والاستدلال.

وما يزيد من التأكيد على اختلاف علم الكلام عن «فلسفة الدين هو اختلافهما في الغاية؛ حيث غاية علم الكلام أن يصير الإيمان والتصديق بالأحكام الشرعية متيقنا محكما لا تزلزله شبَه المبطلين، وفهم العقيدة وشرح ما غمض من مصطلحات كالوعد والوعيد، والجبر والختيار وغيرها، والدفاع عن العقيدة الإسلامية وإثباتها في وجه العقائد والتيارات والآراء المخالفة لها، ودراسة الأحكام العتقادية في الشريعة الإسلامية وهو ما يختلف إلى حد كبير مع غاية فلسفة الدين؛ إذ إنها ليست دفاعية، ولا مشغولة بعقائد فرقة دون أخرى، بل هي معنية بالدين ككل من حيث هو دين، وتختبره اختبارا عقليا مقارنا في كل عقائده، وتسعى لتفسير الشعور والتفكير الديني من حيث المنهج والبنية والتكوين، وتبدأ من نقطة بدء موضوعية وعقلانية وخالصة، أي تبدأ بداية غير منحازة، لكنها ربما تنحاز في نهاية التحليل لدين ما؛ بناء على أسس عقلانية محضة، لأنها تنتهج الأسلوب البرهاني وتتجنب المنهج الجدلي أو الانفعالي. كما أن العقل الواضح والواقع المتعين هما المعيار فيها للتمييز بين الحق والباطل، وتبدأ- أو هكذا ينبغي أن تكون- من مقدمات يقينية بحكم التجربة أو بحكم العقل. أما علم الكلام أو اللاهوت فهو منحاز منذ البداية إلى النهاية،

وينتهج أساليب تبريرية وجدلية في أكثر الأحيان، وهذا ما لا تفعله فلسفة الدين إلا استثناء. . . أو هكذا ينبغي لها أن تكون.

ومن ثم يمكننا التمييز أيضا بين فلسفة الدين وبين مجالات أخرى تتخذ من الدين موضوعا لها كعلم النفس الديني، وعلم اجتماع الدين، وعلم تاريخ الأديان أو مقارنة الأديان، وعلم أصول الدين.

يمكننا التمييز بين فلاسفة الدين وعلماء الدين أو اللاهوتيين وعلماء الكلام. فعالم الكلام أو عالم اللاهوت يبدأ من نقطة بدء يقينية تقوم بالتسليم المطلق بصحة العقيدة؛ ولذا فهو يسير على مبدأ «آمن ثم تعقلْ، ويتخذ من فهمه للنص الديني معيارا للتمييز بين الحق والباطل، ويعتمد على المنهج الجدلي الذي يبدأ من مقدمات ظنية وليست يقينية بالتجربة أو العقل على العكس تماما من فيلسوف الدين الذي لا يبدأ من أي نقاط يقينية، ولذلك يقدم التعقل على الإيمان، فيسير على مبدأ «تعقل ثم آمن، ويتخذ من الوضوح والبداهة معيارا للتمييز بين الحق والباطل، ولذلك فهو يعتمد على المنهج العقلي البرهاني.

كما أن علماء الكلام واللاهوت عادة ما ينظرون إلى الوجود الإلهي كَمسلمة أو بديهية غير قابلة للنقاش أو كحقيقة واضحة بذاتها، ويشرحون ويبررون العتقادات الدينية بالمنطق العقلاني أو بالصور الفطرية والمجازات الحدسية. أما فلاسفة الدين فهم يختبرون وينقدون الأسس المعرفية، والمنطقية، والأخلاقية، والجمالية، المتضمنة في اعتقادات دين ما ـ أي دين. وبينما علماء اللاهوت يحللون عقليا وتجريبيا موضوع طبيعة الإله، فإن فلاسفة الدين مهتمون أكثر بالسؤال عما هو قابل للمعرفة وبإبداء الرأي في كل ما يتعلق بالمعتقدات الدينية . أي إن علماء الكلام واللاهوت منحازون مقدما إلى الإيمان بقضايا الدين والدفاع عنها، في حين يبقى فلاسفة الدين محايدون تماما تجاه مسألة الإيمان الديني.

علم النفس الديني :

كما إن فلسفة الدين تختلف عن علم النفس الديني حيث لا يهتم هذا الأخير بدراسة الدين من كل جوانبه دراسة عقلية كما تفعل فلسفة الدين، وإنما يكتفي بدراسة الدين من زاوية نفسية. كما أنه لا يوجد في علم النفس الديني منهج واحد وإنما مناهج متعددة بتعدد المدارس النفسية، ولعل أكثر هذه المناهج شيوعا منهج التحليل النفسي الذي نشأ مع عالم النفس الشهير سيجموند فرويد، الذي بلور نظرية في التحليل النفسي للشعور الديني في كتابه «الحضارة ومساوئها ١٩٣٠م، وفي كتابه «مستقبل وهم ١٩٤٩م. كذلك تناول إريك فروم الدين في كتابه «الدين والتحليل النفسي من زاوية. نفسية تتأثر بالعوامل الجتماعية .

علم الاجتماع الديني:

كما تختلف أيضا فلسفة الدين عن علم اجتماع الدين ؛ إذ ينظر هذا الأخير إلى الدين من حيث كونه ظاهرة اجتماعية جمعية من حيث المعتقدات والمؤسسات والسلوك، والوظائف الجتماعية للدين، ويقوم بدراستها وفق المناهج الجتماعية المعروفة. ومن أهم الذين آسهموا في تأسيس علم اجتماع الدين إميل دوركايم في كتابه «الصور الأولية للحياة الدينية ١٩١٢م، وماكس فيبر .M Weber١٨٦٤- ١٩٢٠ في كتابه «الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية ١٩٠٥م، وكتابه الأشهر الذي ب ين المعالم الواضحة لهذا العلم والذي عبر عنوانُه بصراحة عن مضمونه، وهو كتاب «علم اجتماع الدين ١٩٢٢م.

علم مقارنة الاديان :

الأمر نفسه ينطبق على علم «مقارنة الأديان من حيث اختلافه بدرجة كبيرة عن فلسفة الدين ؛ إذ يقوم علم «مقارنة الأديان بالدراسة المقارنة الوصفية وأحيانا النقدية بين الأديان، من حيث المعتقدات والرؤى والكتب المقدسة. وأحيانا يقوم بنوع من العرض التاريخي، فيدرس ويصف ويؤرخ لنشأة وتطور المعتقدات والشرائع والممارسات الدينية في التاريخ أو في جزء منه حسب المعلومات المتاحة.

وقد مر هذا العلم بمراحل مختلفة في اتجاه التقدم والتطور حتى أصبح الآن يتحرك في دائرة واسعة من المعلومات عن الأديان العالمية والمحلية. وأصبح له مناهج عدة مستخدمة حسب طبيعة كل مدرسة علمية، مثل: البحث التاريخي، وتحليل النصوص،والنقد المقارن، وفحص الأشكال الأدبية ولا يزال هذا العلم يشهد تطورا ملحوظا يوما بعد يوم.

وهكذا يتبلور مفهوم «فلسفة الدين كمبحث فلسفي مستقل محدد ودقيق، له موضوعاته ومناهجه وغايته التي تميزه عن غيره من العلوم التي تتخذ من الدين موضوعا لها.